رسائل شرقية

رسائل شرقية
تأليف : أسـامة حراكي
الإخراج الداخلي : إسلام الحماقي
تصميم الغلاف : مصطفى أبو مسلم
مصممة الطبعات السابقة : مي علي
مدير النشر: أحمد خطاب
رقم الإيداع: 26461 - 2017
الترقيم الدولى: 978-977-6598-38-6
الطبعة الرابعة: 2017
إشراف عام : أحمد عبد الجواد

مؤسسة عابر للنشر والتوزيع

01007677910 - 01111883712
3aberorg@gmail.com
www.3aber.org
عابر 3aber

جميع الحقوق محفوظة، وأى اقتباس أو إعادة طبع أو نشر فى أى صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابى من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

رسائل شرقية

أسامة حراكي

إهداء

إلى كل قلب كتب عليه أن يتجرع الحب علقماً، ولا يتذوقــه رحيقاً، وأن يحترق في ناره، ولا يقطف من ثماره..

أقدم هذه الرسائل عسى أن يجد فيها بعضاً من العزاء والسلوى.

المقدمة

الحب صديق لا يفارق الإنسان منذ بدء رحلته في الحياة إلى أن يصل لمحطة الموت، وهو يتجاوب مع الكيان الإنساني ولا يتخلى عنه في أي مرحلة من مراحله، ولدى أي رغبة من رغباته، فالحب ثوب للكيان الإنساني كله، عقلاً وقلباً ووجداناً، وهو الغذاء السليم عندما يتأمل ويفكر، وعندما يعبر عن رغباته، فإن في القلب عواطف ووقود من الأشواق التي لا يقدر على وصفها أي بيان.

الحب هو زهرة صغيرة تحتاج لتربة خصبة تزرع فيها، ويد حنون ترويها وتعتني بها، الحب شيء جميل وانجذاب روح لـروح، وهو خيط غير مرئي يربط طرفين، وانفعال من الانفعالات اللاإرادية، والحب معانيه تحس قبل أن توصـف، ولا أحد يسـتطيع أن يصفه إلا إذا غرق فيه، والإنسان دائماً يبحث عمن يحبه، أن يبادله الحـب وأن يرعاه ويعرف ما يضايقه وما يفرحه، فيتجنب ما يضايقه ويحاول ان يفرحه، ويظل الإنسان يبحث عمن يحبه حتى يجده.

رسالة إلى كل محب

الحب صديق لا يفارق الإنسان منذ بدء رحلته في الحياة إلى أن يصل لمحطة الموت، وهو يتجاوب مع الكيان الإنساني ولا يتخلى عنه في أي مرحلة من مراحله، ولدى أي رغبة من رغباته، فالحب ثوب للكيان الإنساني كله، عقلاً وقلباً ووجداناً، وهو الغذاء السليم عندما يتأمل ويفكر، وعندما يعبر عن رغباته، فإن في القلب عواطف ووقود من الأشواق التي لا يقدر على وصفها أي بيان.

ومشاعر الحب عند الإنسان مثلها كمثل مصباح يضيء مكان، إذا انطفىء ساده ظلام دامس، وإذا بالغنا في زيادة إضاءته تحول لنار تحرق ما حولها، وإن المصباح المتقد بين الضلوع ينفث أحياناً آلاماً مبرحة ومشاعر كاوية، ويخفق بخفقات تذهب بنوم العين وراحة الفكر، وستجد ذلك من خلال دمع العينين وآهات القلب، فكم من تعساء حيل بينهم وبين حبهم لكنهم عاشوا سعداء على ذكرى الحب

نفسه، برغم أنهم معذبون يقضون هدوء الليل في حسرات كاوية، سعداء بذلك العذاب أكثر ممن ينام مستغرقاً في أحلامه، فهل في الدنيا عذاب أجمل من عذاب الحب، وهل سمعتم عن نار تنشر عبقاً كلما زادت غير نار الحب.

الحب ليس كلمة يهمس بها شاب في أذن فتاة، ولا لمسة يد ولا لثمة شفاه، الحب مسؤلية يتحملها الشاب والفتاة معاً، فالحب علاقة تدوم وليس متعة زائفة ووقتية، الحب سر من أسرار القلوب يربي فينا الفضائل ويغرس في نفوسنا بذور الرحمة والإنسانية، ويقتلع من جذورنا الأنانية ويكون لنا خير مهاد لبناء الأسرة، وأفضل روح لإطلاق ينابيع الحكمة والأدب.

البعض يحبون الحب أكثر مما يحبون الحبيب، فالذي يحب الحب يجيد الأحاديث الشيقة حتى يظن من يسمعه أنه الإنسان المناسب، والذي يحب الحب يحتفظ بالاطار ويغير الصورة، خصوصاً عندما يطلب منه أن يغير إطار الحب إلى إطار الزواج، فالذين يحبون للحب فقط لا يفصحون عن مشاعرهم الحقيقية، فيظهرون دائماً بمظهر

جذاب وفي صورة مرحة كأن هموم الحياة لا تعنيهم، وهذه الطائفة نوعان، نوع يحب الحب للهروب من المسؤليات المادية التي لا يمتلكها، يحب نعم.. يتزوج لا، والنوع الثاني يمتلك الامكانيات المادية، لكنه يريد أن يستمتع بالحب مع شخصيات متعددة حتى وإن كان متزوجاً، وهؤلاء لديهم براعة في التخطيط للوصول إلى ما يريدون وإن كان تخطيطاً مزيفاً، وهم في علاقة حبهم لا يريدون أن يطفؤا شعاع الحب، فيستخدمون ألاعيب غير منطقية في حبهم للطرف الثاني، ليشعلوا نار الحب، فبدلاً من أن يسأل المحب محبوبه سؤال مباشر ويستمع إلى إجابة واضحة، يراوغه بسؤالاً غير مباشراً ليوقعه في خطأ الإجابة فيغضب ويثير غيرة الآخر، والغضب والغيرة يشعلان نار الحب، فيكونان في طريقة حبهما كمن يلعبان الشطرنج، كل منهم يستطيع أن يعرف كيف يفكر الآخر بتحريك القطع لكنه لا يستطيع أن يعرف مشاعره.

يقال إن وراء كل عظيم امرأة، مقولة صحيحة فاعمال الرجال العظيمة بنيت فوق حب النساء، فهن اللاتي زودن الرجال بعواطفهن،

كان الرجال يفكرون ويبتكرون لأن النساء كن يبذلن عواطفهن لهم، فعرفت النساء أن الرجال يحتاجون لحبهن، لكن معظم الرجال يتجاهلون حاجة النساء للحب أيضاً، ومازالت النساء مشغولات بالحب ولا يستطعن الحياة من غيره، لأن توازن حياة المرأة ونجاحها فيها يعتمد إلى حد كبير على توازنها العاطفي، الرجل أيضاً تتوازن حياته العملية إذا توازنت حياته العاطفية، وهناك من الشباب من يخفي مشاعر الحب، حيث تعلم منذ صغره على عدم إظهار مشاعره وعواطفه الحقيقية، كا لاتبكي فالرجل لا يبكي، وهذا خطأ كبير لأن ذلك يصنع حاجزاً من الدفاع عن رجولته، فيتحول هذا الحاجز أحياناً إلى نوع من الغطرسة واللامبالاة.

إذا تعلم الشاب منذ صغره أن عاطفة الحب مسؤلية حقيقية لن يخشى البوح إذا شعر بها، بل سيشعر أنها تضيف لرجولته ولا تنقص منها، وتعلم المسؤلية في الحب من السنين الأولى يعلم المسؤلية في الحياة.

ومن يقول إن الزواج ينهي الحب نقول له الألفة تحييه، فأحياناً تكون الألفة بين الزوجين طبيعية وتأتي بينهما سريعاً، وأحياناً

تكون بحذر وتأتي بعد فترة، وأحياناً لا تكون سبباً في نجاح علاقة الزواج، فالبعض يجدون النجاح بما يناسب ظروفهم مثل الاستقرار في الزواج والصداقة بين الزوجين، وهما لا يحتاجان للألفة، لكن بالنسبة للكثير لا تكون الحياة في الزواج مكتملة بدون الألفة، فالألفة بين الزوجين ليست جسدية، فهي أكثر من رد فعل العاطفة، الألفة الحقيقية تعتمد على معلومات كل منهما عن الآخر، ففي العلاقة الزوجية التي يراد لها الدوام، يحاول كل من الزوجين أن ينظر نظرة أبعد من الحب والجاذبية الجنسية إلى شيء أفضل، فمعرفة الزوجين لبعضهما وعن بعضهما قبل الزواج قد لا تكون كافية، وبعد فترة من الزواج يجدان أنهما ليسا غريبين عن بعضهما لكنهما لا يعرفان بعضهما تماماً، وعندما تبدأ معرفة بعضهما تبدأ العلاقة الزوجية في التعمق وتصل إلى مشاعر الألفة، وتزداد عندما يكون الإخلاص والصدق لبعضهما وتصل لقوتها عندما تُزال كل الحواجز بينهما، عندما ترجح الثقة على الأكاذيب، وعندها لا تحتاج المشاعر للاختباء، فالألفة بين الزوجين تجعلهما بعيدين عن التكلف وأكثر حرية وراحة مع بعضهما، وأكثر احتراماً لبعضهما، فعندما تتوطد الألفة بين

الزوجين يستمر الحب الذي جمعهما قبل الزواج ويحمي علاقتهما في الظروف السيئة والمشاكل.

وفي النهاية أتمنى أن يكون الحب ما يزال موجوداً في قلوب الجميع وعليهم البحث عنه ويجب أن يكتشفوه.

في ليلة حالكة ساقني الحزن إلى أعتاب الكرب، اتسعت فيها ذاكرتي فغمرتني نشوة من الأحزان وفاض قلبي واعتصر ما فيه من آلالام ، وسمعت همساً في أذناي يدفعني إلى أن أنهض وأبحث عن شيء ينقصني، حاولت أن أعرف ما ينقصني فيئست، وقمت إلى ورقي وقلمي وأخذت أخط رسالة إلى حبيبتي.

أميرتي

لا أعرف ما أقول ولا من أين أبدأ ولا أجد ما أسميكي به سوى أميرة قلبي أنا، الآن عرفت أن هذا الهمس هو همس الحب، وذلك الصوت هو صوت الماضي الذي لاأظن انه أصبح ماضياً، أشعر بأنفاسك تحيطني وتلفني من كل اتجاه، لقد شاهدت القمر ليلة المساء مضيئاً، فتمنيت أن يضيء هذا القمر ليل كل العاشقين، وأن يكون مناراً لكل التائهين.

أيها القمر الذي ينير ليلي لا تبتعد، فأنتي يا حبيبتي قمري، سهرت ليال طوال أنتظر ضوءه، أنتظر أن يذوب في عمري وأذوب في رؤيته، فستبقين بالنسبة لي القمر الذي عشت أنتظر حبه وضاعت سنين عمري في محرابه.

أيها القمر هل تشعر بالذي أحسه تجاهها، هل تسمع صوت دقات قلبي، لقد طال الشوق إليها وإلى لون عينيها وبسمة شفتيها والحنان

من لمسة يديها، لقد تعلمت الحب في خصلات شعرها، في نبضات قلبها، في همسات شفتيها، في بريق عينيها.

مضى زمن على يوم أسدلتي ستاراً بيني وبينك، ومنذ ذلك اليوم لا تزال كآبة الدنيا في وجهي وحول قلبي، لم يقفل الهم لي بابه، ولم تفتح لي السعادة شباكها، لا تزال دنيا الناس من بعدك غريبة عني، لا يزال ضجيج ضحكات الشامتين في قلبي، لا تزال جراحه تنزف بالآلام وتحترق في نار لا يطفؤها تقادم الأيام، ولا يخفف من لظاها وطأة اليأس ولا نسيم الأمل ولا هاجس الأحلام.

أتذكرين ذلك اليوم الذي قلتي لي فيه، أريدك أن تنسى ما كان وما قلناه، والوعود التي كانت والحب الذي كان، أريدك أن تكون أخاً وصديقاً لا أكثر، إن الصداقة من السهل أن تتحول إلى حب، لكن من الصعب أن يتحول الحب إلى صداقة، أنا أذكر ذلك اليوم وهذه اللحظة بالذات، هذه اللحظة التي طعنت فيها، لا أعرف ما الذي فعلته ولا الذنب الذي اقترفته، هل هو أني قدمت لك كل الإخلاص والحب والمودة، أم أن هناك شيئاً أغضبك وجعلك

تغيرين كل ما كان، أم كنتي مخطئة حين بادلتيني الشعور الذي كنت أبادلك إياه، أعترف أني أخطأت من البداية حين صارحتك بحقيقة أحاسيسي تجاهك وحبي لكي، كان ذلك الوقت غير مناسب ولكنني رأيت حولكي الكثير من المعجبين، فخفت أن يسبقني أحد فصارحتك وقبلتي، كم أذكر ذلك الحب الذي كنتي تقدمينه لي، والوعود التي كنتي تعدينني بها، كل ذلك نسيتيه أم تناسيتيه، لماذا لم تقولي هذا من البداية، هل كنتي تخدعينني وتتسلين بي، هل تذكرين حين كنتي تشكين لي عن متاعبك، فأقول لكي لا تجعلي كلام الآخرين يضايقك وثقي بنفسك ولا يهمك كل ما يقال، كم كنت أصفك وتقولين لا أرى في نفسي ما تقول، فأجيبك بل أنتي أكثر من ذلك، كم أقارن الذي كان بالآن، فالآن حين أقول لكي ذلك تقولين أعرف أني هكذا ولا أحتاج لرأيك فكم من المعجبين يتمونون كلمة مني، آه يا حبيبتي كم أصبحتي مغرورة، لم تعودي أنتي التي أعرفها، آه يا حبيبتي، تلك الآه تخرج من صدري ويخرج معها غبار تراكم داخله من بعد ما هجرتيني.

من بعد ذلك اليوم عادت الدنيا تدور دورتها كأن شيئاً لم يكن بالنسبة لكي، أما بالنسبة لي فقد تابع الزمن مساره وتابع الناس معه رحلتهم، لكني بقيت وحدي غريباً بينهم، شارداً عن طريقهم، أراقبهم من حولي فأراهم منغمسين في لهوهم وأفراحهم، متعانقين سعياً وراء أمانيهم وغاياتهم، فلا أجد نفسي إلا كضائع بينهم غريب عنهم، أجلس وأسير معهم ولكن مثل سحابة صيف، أو مثل غصن من بقايا الخريف تتقاذفه مياه النيل، لا أرى الدنيا إن ضحكت إلا وهي مغموسة من حولي بالكآبة والسواد، كأنها لا تزال حبيسة منذ ذلك اليوم الذي شيعتي فيه أحلامي.

الناس يهربون من ذكرياتهم وأحزانهم إلى المرح والنسيان، أما أنا فلا يحلو لي إلا أن أهرب من المرح والنسيان إلى ذكرياتي وأحزاني، لا يؤنسني إلا الحديث عنك، ولا يحلو لي إلا استرجاع ذكرياتي معك، لكن ماذا يفعل من فقد حبيبه سوى أن يستعيد ذكرياته معه، لقد نسيتيني وأصبحت عندك مجرد أصداء ماض طواه بئر الزوال.

أميرتي: هل تذكرين الزهور الحمر التي زرعناها معاً، هل تذكرين

كم كنتي تحبين ألوانها، هذه الزهور التي كانت تترجم فرحة وأمل المستقبل لنا، هذه الزهور التي كانت ملونة بخجل حبنا البريء الطاهر النقي، للأسف لقد ذبلت هذه الزهور وماتت، ولكن إن جفت أرض زرعناها معاً سأرويها بدموع ذكرياتي.

هكذا انقلبت جنتي التي عرفتك فيها إلى صحراء قاحلة، وتحولت الدنيا التي كنت أراها من خلالك حدائق وينابيع، إلى سجن يصنع المزيد من آلامي ويزجني في المزيد من الغربة عن أيامي، وعادت دنيا الوفاء مهجورة كعادتها، غير أني سأتخذ من هذا العالم المهجور مهجعي وقراري، وسأجعل من قلبي ساحة للعهد والوفاء لا أفارقها إلى يوم لقاء ربي، وسأتوج حب قلبي بنار الصبر، إن بكيت فسأبكي لأسقي ما في قلبي من زهور الوفاء، وإن تألمت فهي آلام لا تساوي شيئاً من دنيا فانية.

لقد حاولت انتزاع حبك من قلبي لكنك بقيتي غالية، وأغلى ما يذكرني بكي ويمزجني بدفء حبك الذي كان، ذكريات من أرق العبارات وأعزب كلمات الحب التي كنتي تسمعينني إياها، لا أزال

أذكر أصابعك الرقيقة التي كانت تداعب جبيني، أصابعك التي كانت دائماً تنام بين كفي فأشعر أنني أملك الدنيا.

هل تذكرين حين كنا عائدين أنا وأنتي وبعض الأصدقاء من نزهة، كنا نغني وفجأة سألتيني هل ماتزال تحبني، فصعقت لذلك السؤال وقد كنتي طلبتي من قبل أن لا نفتح هذا الموضوع، فأجبتك لما لانتكلم في موضوع آخر، فقلتي أنت تعتقد ان هناك شخصاً غيرك، لكني أقسم أن هذا غير صحيح، فقلت لكي لا يهمني أن أعرف، في هذه اللحظة رأيت في عينيكي الحزن فلم تهوني علي، فتنازلت عن كبريائي وقلت لكي أنتي تعرفين ما انتي بالنسبة لي، فقلتي ماذا تقصد؟ فقلت نعم لا أزال أحبك وسأبقى، في هذه اللحظة ابتسمتي وأنا أعلم أنكي تقصدين بذلك إسماع صديقاتك لا أكثر.

كم ناقشت هذا الموضوع معك بعدها وكم كنتي تخذليني دائماً، أذكرك بالوعود وما أنتي والوعد الذي تعدينني إلا كمر سحابة لم تمطر، وإن ذكرتك تقولين لا أذكر ذلك، ليس صحيحاً فأنتي تعلمين جيداً الحقيقة، لقد دمرت نفسي وخسرت أشياء كثيرة، فبسببك

جرحت كثيراً من الأصدقاء، وكم كنت أرجوكي أن تعودي لكنكي كنتي ترفضين ذلك، أعلم أنك تقولين الآن لا تجعلني الشماعة التي تعلق عليها أخطائك، فهل كان حبي لكي خطأً؟

لقد كان قلبي حصناً منيعاً حتى جئتي أنتي واقتحمتيه وتربعتي داخله، وأصبح مكانك الذي تملكينه، ظننت أنكي قد بنيتي لي داخل قلبك قصراً، كنت واهماً فقد كانت جدرانه من الخداع وطوابقه من الكذب، كان قصراً من الرمال في شاطىء الوهم على بحر عينيكي الكاذبتان اللتان قالتا لي، سنعيش على حب ونموت على حب وستبقى ذكرانا، وجاءت أول موجة أطاحت بهوانا، كان حلماً لم يدم فعصفت بأحلامي رياح الغدر، فقد طورتي أكاذيبك وتوجتي ألاعيبك بكلماتك الحلوة وبيانك الرائع، هل كان كل هذا نفاقاً، آهٍ لقلبي الهيمان وسط جنة نارك، يا للضلوع المستعرة على جنباته.

أميرتي: إنني أرتل نجواك وأردد كلماتك في محراب ذاكرتي بدموع غالية، ما أحببت فيكي مجرد شكلٍ جميل مع أن الله منحك منه الكثير، ولا مجرد أنوثة مما يهفو إليه الرجال، لكن الذي علقني بك، ما كنت

أعتقده من صفاء روحك وسمو احساسك واشراقة قلبك وحبك الرائع الذي كان، وعيونك التي ملؤها الحب والأمل، لقد وجدت نفسي بين يديكي فكيف لا وأنتي صانعة الحب، لقد كنت من غيرك كقارب تمزق شراعه ألقت به الأمواج حيث لا يعلم، كنتي الغد المشرق بأيامي، والفجر الذي أنار ظلامي وأصبحت الدنيا من غيرك ظلاماً.

يا منية النفس وتوأم الروح وأنشودة الفلب، يا من كنت أعتقد أنها النبع الذي أرتوي منه والمنارة التي تضيء دربي، يا من كنت أعتقد انها أنيسة العمر ورفيقة الدرب، يا من قدمت لها كل الإخلاص والحب وقدمت لي كل الأحزان، هل هذا جزاء صدق حبي لكي؟

حبيبتي الخالدة إعلمي أنك حتى الآن باقية حبيبتي، وزدت حباً لحبك ولسوف يبقى حبي لك في ازدياد حتى نهاية عمري، لن ينبض قلبي لغيرك، وربما يوماً أقابل غيرك أو أعيش مع امرأة سواك، لكن لن تكون لها نفس ملامحك ولا مثل لمسة يدك، ولن تكون ذكرياتي معها مثل ذكرياتي معك، أعدك آلا تغيب شمس حبك عن دنيتي، لن أنسى ذلك الحب الذي استولى على قلبي، ستبقى أطيافه تلاحفني،

لن تغرق أحلامي داخل بحر النسيان، لن تطفىء شجوني نيران قلبي الملتهب، ستظلين دوماً حبيبتي وقمري الذي يضيء ليلي، وسيظل حبي وشوقي وأشعاري لكي أنتي، وستبقين في نظري طفلة الأمس ببراءتها ولعبها وفتاة أحلامي الرقيقة، وعقد الفل حول رقبتي ونقطة الماء العذب التي ترويني، وسيكون طيفك جليسي ومؤنسي يذكرني بك، فملامحك محفورة بقلبي وصوتك دائماً في أذناي.

اعلمي أن قلبي وهبك حبه ولا يريد منكي شيئاً سوى أن ترفقي به، فرفقاً بمن أحبك ولم يطلب سوى أن يظل بقربك يراكي من بعيد، يشاركك أفراحك وأحزانك، ويتمنى لك حياة مليئة بالفرح والسعادة، فسلام من قلبي ولكن ليتكي تقبلين سلامي، فلو أنصفني قلبك ما كان باعد بيني وبينك وأغرقني في بحر نسيانك، كنت أود أن أحادثك بنفسي لأن حديث اللسان أعزب وأقوى في البيان مما تخطه الأقلام.

باســم الحب أبتدي وبنور الحب أهتدي، إن كان هناك وجود للحب فباســم الحب، وإن كان الحب ينبع من القلب فباســم القلب، وبما أن في القلب روح فباسم الروح، لكن الروح بيد الله سبحانه وتعالى.. بسم الله الرحمن الرحيم

مولاتي

أناجيكي بقلب كسير، وهو كسير وليس بكسير، فكيف يكون كسيراً وأنتي النور الذي يشع في حناياه والأمل الذي يخفق به، وكيف لا يكون كسيراً وأنتي بعيدة عنه، فعذبي ما شئتي غير البعد عنكي، فهذا القلب بلائي به محض معزته وحاجته لكي، والتجاؤه إليكي محض رعاية وحنان منكي، فلأيهما أدين بالشكر، وعلى أيهما أبذل التحمل والصبر.

لئن نسيتيني فإن عزائي ما أنتظره من الأنس بذكراك والأمل في لقائك، ولأن أبكيتيني فإن عزائي من قبل كثيراً بين يديكي، ولكن شتان بين دموع اعتصرتها الآلام بسبب متاعب الدنيا، ودموع انحدرت تبكي بسبب من وضعت الحزن في القلب.

قد يتألم القلب ولكن ما ألذ الألم الذي يذيق صاحبه طعم وحلاوة الحاجة إليكي، كم رأيت من الناس، منهم الطيب ومنهم

الغير ذلك، لكن لم ولن أرى مثلك من صفاء الروح والنفس، يا من خلقك الله وأسكن فيكي البراءة والإخلاص والحنان، يا من جعلك في الرقة أبدع وفي الجمال أروع ما يكون، كم أرى حولك اناس بعيدين عنكي ولا يعبأون بكي وتشملينهم جميعاً بالمودة والعطاء، تلك هي مودتك بمن ينساكي ويتوه عنكي، فكم هو عطائك بمن يرقب فضلك ويستجدي قربك.

بالأمس رأيتك وصافحتيني وحادثتيني، ولكنك لست أنتي التي أعرفها، أين الطائر الغريد يغني منتشياً من صوتك، أين النسيم العذب يتخاطر من حولك وينشر في الافاق جميل عبقك وحلاوة روحك وخفت دمك، أين الأغصان السكرى المترنحة من خصلات شعرك ترقص مزهوة بجمالك، أين الندى المتساقط من إطلالة وجهك مع كل فجر، أين النور الساطع من عينيكي مع سطوع الشمس، أين ابتسامتك الفاتنة التي تنبعث من ثغرك الأخاذ، وبعد أن صافحتيني انسحبتي مسرعة هاربة من أمامي.

عيناك لم تعد العينان التي كنت أشكو لهما عن أحزاني، عيناك التي تتجمع فيهما كل الصفات، إن قلت الغدر فعيونك عيون الثعلب والأوس والأطلس تشع مكراً وغدراً، وإن قلت القوة: فعيونك عيون الصقر والنسر في بعد النظر، وإن قلت البراءة والحنان وخشية الله: فعيونك عيون زاهد إلا من حب الله، وإن قلت الجمال: فعيونك عيون الغزلان وصغارها من المها والريم والرشا.

بعد أن تركتك نظرت إلى السماء أتأملها وكانت صفحتها في الليل مليئة بكواكبها المنثورة التي لا تحصى، يخفق بياضها في سواد الليل الحالك كحبات الماس التي كانت تخفق فوق فستانك النيلي الجميل.

أيتها الوردة الناعمة، أيتها الرائحة العبقة، أيتها الروضة النضرة، أسئلك أن تجيبيني، إنني أكتب سطوري بعيون مشاعري وإحساسي، فأبصر فيما بينها أنفاسك الوادعة الرقيقة تجذبني عن نار الآمي لتضمني إلى جنة فؤادك، ولا أعلم إلى متى سيطول حالي.

يــا حبيبتي لا تكوني عنصرية وترقصــين مع الربيع
لأنه بلون عينيكي، فأنت ذكرياتي الوفيرة في أزماتي
الكبيرة، أنتي أرضي الأخيرة.

رسالة إلى معشوقة القمر

كنت خالي البال أحيا في هدوء ولا أهتم بشيء، حتى جئتي أنتي، فصارت أخبارك أهم الأخيار، وأشيائك الصغيرة هي أشيائي الكبيرة، وطالت جلستي أمام صورتك بل صادقتها، وعرفت مشاعر الغيرة التي تصل بدرجة حرارتي إلى ما بعد الأربعين دون أن أكون مريضاً، لكني مرضت بكي ولا أتمنى الشفاء منكي.

حين تغيبين عني أشعر بجفاف في حلقي وموجات ضياع تحتويني، تشغلين روحي وهوائي ومائي بدفء ماء قلبك، روحك تسكن أرض روحي، وفي أحاديث الناس ألقاكي، وفي نور الأشواق تولدين كل صباح ويستعاد خلقك.

بعد طول الغياب وتشتتي في الأراضي، وتأملي لسحر عينيكي وسباحتي في بحر روحك، وقلقي وأرقي الذي لا سكن له، هل يسكن شوقي بالقائك؟ هل بعد عبوري البحار سأهتدي إلى شاطئك، إن

الشواطئ أمامي كثيرة وممتدة، لكني لا أستطيع أن أخلد إلا على شاطئك، تحت ظلال شعرك، لأبدأ تاريخي وأكتب بدايته تحت أقدامك.

إني دائم البحث في ذاتك عن مكاني، ليتني أجهل العشق وأماراته فأخمد كل عواطفي وأشجاني، لقد هبطت اللهفة في مطار الأشواق واستقرت على ساحة ميناء صدرك.

أمازال لي في قلبك رصيد؟

لقد تغيرتي.. اللهفة ماتت

والأشواق انتحرت

ولمعت العينين انطفئت

وأحاسيسك الحلوة فترت..

يا حبيبتي لا تكوني عنصرية وترقصين مع الربيع لأنه بلون عينيكي، فأنت ذكرياتي الوفيرة في أزماتي الكبيرة، أنتي أرضي الأخيرة، يا أيقونة النساء، يا لؤلؤة السماء، يا معشوقة القمر.

في أحد الأيام وقفت على ضفاف النيل أتأمله وأتأمل ما حوله، فوجدت نفسي وسط زحامه غريباً حتى عن نفسي، وأشفقت على قلبي الذي امتلأ بالأحزان، فشكيت للنيل أحزاني لأخفف عما في قلبي وأنفث أهاتي في مياهه، لكنه أعرض عني ولم يشأ أن يسمعني، فطويت الآهة في صدري وأعدت اللوعة لقلبي وأثرت السكوت.

رسالة من على ضفاف النيل

جلست أتأمل اللوحة الساحرة الي أقامها الخالق حول ضفتيه، تلك اللوحة التي تجمعت فيها كل ما تملكه الطبيعة من مظاهر السحر والجمال، الأشجار التي تكاثفت بين أحضانه، والخضرة الفاتنة التي تتمايل مع مياهه، إن كل عاشق يرى هذه اللوحة يتخد منها نجوات أشواقه.

سبحانك ربي متعت أعين العشاق بالزهور وأنطقتها لهم بلغة الحب، وأنعشتهم بعبقها ليغسلوا قلوبهم من غبار الغريزة، وجعلت من هذا النهر جليساً لكل العشاق يؤنسهم ويناجيهم ويتأثر لأناتهم ويبعث فيهم الأمل، الأمل الذي أسمعه من تمايل الأغصان وحفيف أوراقها، يامن خلق الأمل واليأس وقدر الموت مع الحياة، يا باعث النور بعد الظلام ومخرج الفرح من الأحزان، يا من سر لطفك إحسانك، كيف أيأس وأنت ربي، كيف لا ينعشني الأمل وانت حسبي.

بعد قليل أحسست بأن النيل يصغي إلي ويسمعني، فسمعت في صمته العميق أرق ألحان الحب والحنان يصبه في أذناي، فأحسست بسحره وسمعت في هذا الصمت العميق خفقات قلبي، أه من هذا القلب يخفق ويحس ويحن ويئن، سبحان من أودع فيه الحب، كل جاه الدنيا ومالها لا يساوي شيئاً مقابل خفقة من خفقات قلب محب، ونعيم الدنيا لا يساوي شيئاً أمام خفقة فرح في قلب حزين.

إن الحب الذي يأتي به القلب ربما يذهب مع صحوة من العقل، فهذا سهل، والحب الذي يأتي به العقل ربما يذهب مع عاطفة من القلب، فهذا سهل أيضاً، اما الحب الذي يأتي به القلب والعقل معاً، فهو داء لا يذهب إلا بجنون أو موت، ورحمة الله لمن كان يعاني مثل هذا الداء.

بعد قليل رأيت صفحة النيل وكأنها تقول لي وقتك انتهى ودع غيرك يحدثني، ووجدت نفسي مرة ثانية وسط ضباب الوحدة، لكني اكتشفت أن صديقي الوحيد الذي لا يتحدث، بل يسمع ويكتم ولا يبوح، والوحيد الذي كبرت معه ولم يرحل.. النيل .

أرأيتم اللوحة الساحرة التي أقامتها يد الخالق على شاطىء الروشة ببيروت، تلك اللوحة التي تجمعت فيها كل ما تملكه الطبيعة من مظاهر السحر والجمال، ذلك الشاطىء الصخري الممتد على الكورنيش المليء بالفجوات التي زادته سحراً وجمالاً كأجمل عقد يزدان به جيد هذه البلد، وتلك الصخرة الشامخة التي خرجت من وسط مياه البحر.

رسالة من على شاطىء الروشة ببيروت

كم هي جميلة بيروت، وبرغم أن كل شيء هنا يدعوا إلى المرح وكل ما حولي جميل، إلا أن كل هذا لا يساوي نظرة إلى وجهك، عندما أسير في شوارعها وأرى حبيبين تتشابك يداهما في ود وحنان ويسيران معاً، أشعر بالحب الذي يكنه كل منهما للأخر، فأتذكرك وأتمنى أن ألمس يدك وأسير معك، وما دمت أعيش على ذكرى حبك فأنا بخير.

جلست على ذلك الشاطىء الذي امتلأ بأشتات من الناس قد تبعثروا هنا وهناك، يغنون ويتمايلون ويتراقصون فوق هذه الصخور ويمتعون أعينهم بهذا السحر، وينهلون بأفئدتهم الجمال، وقد دارت بينهم أكواب الشاي، وانتشر حولهم أريج بخارها وأقيمت أمامهم الأراجيل.

إنها لوحة نادرة الصنع الإلهي العجيب، يظل يلتقي عندها عشاق الطبيعة والجمال ويزدحمون حولها، لكني ما وقفت عند هذه اللوحة إلا وانصرفت عيني إلى لوحة أخرى مؤثرة قد انصرف عنها الناس،

لوحة من الصخر الأصم اختبئت بين الصخور التي حولها، ورسم عليها قلب وأصابه سهم كتب عند أوله اذكريني دائماً، وعند نهايته لن أنساك أبداً.

إنها لوحة جامدة لكنها تبعث أصداء أليمة لنجوى قلبين كسيرين، لوحة ليس من مكترث بها ولا ناظر إليها ولكنها تحكي عن قصة مأساة، تُرى أي مأساة طافت بهذين القلبين، وأي قسوة نالتهما فلم يجدا من يبوحان له بحبهما إلا هذه الصخرة، أية يد مجرمة فرقت بينكم، وددت لو أني سمعت قصتكم من إنسان بدلاً من أن أسمعها من حجر لا يحس ولا يشعر.

نظرت إلى هذه الصخرة أتأملها وهي تعانق مأساة هذين الحبيبين في جمود لا يتبدل، إنها تعيش في حداد مستمر من الحزن عليهما، وتعيش في ألم لأن الناس يمرون ويمرحون فوقها غير ملتفتين ولا عابئين بما عليها، وخيل إلي أن هذين الحبيبين ختما قصتهما على هذه الصخرة واتخذا منها آخر العهد بالدنيا ورما بنفسيهما أملاً في مصير أفضل بعد أن وسوس لهما الشيطان بذلك.

لا تزال هذه الصخرة تطل على الناس وتروي لهم هذه المأساة ومهما يكن فإن جمال الطبيعة لا يتكامل في دنيا يشيع فيها الأسى، إلا إذا تراءت خلال لوحتها الضاحكة صورة من الجمال الباكي، وعلى شاطىء الروشة مظهر متكامل لهذا الجمال، فإذا ما وقفتوا على ذلك الشاطىء في يوم ما، فلا تنسوا أن تبحثوا عن هذه الصخرة الباكية التي تروي قصص اللوعة والأسى، وعندئذ فقط يكتمل أمام أعينكم مشهد الجمال، فإن فرت من عينكم دمعة فربما تنعش القلب أكثر من رقصة كاذبة فوق أطلال من بقايا قلوب.

يقولون أن الخريف أجمل فصول السنة بسبب غروب شمسه الرائعة وألوان أوراقه الجميلة وتغير طقسه التدريجي من الحر إلى البرودة، ويطلقون عليه أيضا فصل الرومانسية نظرا للوحاته الطبيعية الجذابة، كما غنت له السيدة فيروز ورقوا الأصفر في ترحيب منها بقدومه، حيث تلون أوراق الشجر بأجسادها الطرقات لترسم لوحة خريفية تشع ذهبا فيدوسها المارة أثناء عبورهم مستمتعين بصوت أنينها الخفي، ثم يمضي الخريف ويأتي من بعده الشتاء، ويأتي فيه عيد الحب الذي سمي على اسم القديس فالنتاين.

رسالة من الحب إلى الحب عن الحب

الحب هو الصبر والقناعة والمشاركة والعطاء والتضحية، ومن لا يستطيع تحقيق إحداها عليه ألا يلوث هذه الكلمة المقدسة، هذه الكلمة التي لها مفعول السحر التي تفتح أبوابا مجهولة وتغلق أبوابا معلومة، التي تمنح حاملها قوة وإرادة تجعله يفعل المستحيل ويقف في وجه الأعاصير ويتحدى العالم، ولكن للأسف اليوم تناسى العشاق السلوك الرومانسي واقتصروه على الكلام فقط وأصبحت كل الأفلام والأغاني القديمة رومانسية، وأصبح الشاب الذي يريد أن يتعرف إلى فتاة لا يعرف من وسيلة ليبين حبه إلا لقاء يقول فيه من كلام الحب ما شاء، وأصبح اللقاء هو الوسيلة الوحيدة واختفى لقاء الشباك كأن يمر المحب تحت شباك محبوبته لتمنحه نظرة حب من غير كلام بينهما كما يقول أمير الشعراء أحمد شوقي: «وتعطلت لغة الكلام وخاطبت عيني في لغة الهوى عيناك»

واختفت أيضا رسائل العشاق وما تحمله من أثر من المحبوب فقد كانت الرسائل بين أيدي المحبين، عطرهم عليها وأنفاسهم فيها تعبيء المساحة المحيطة بالرسالة وأثار أصابعهم فيها وخطهم عليها، كل ذلك اختفى ولم يشعر البعض بالأسى على فقد الرومانسية، ولكن يبقى الحب الأول وإن تعدد هو الأقوى، فأول حب هو أجمل حب لا يمكن أن ننساه مهما يمر عليه من الزمن ومهما عانينا منه وبه وفيه، ننسى كل التجارب التي جاءت بعده إلا أنه يظل ناقوسا يدق في عالم النسيان، فالحب الأول هو انفتاح القلب لأول مرة على مشاعر جميلة تجمع بين الفرح والحزن والراحة والمعاناه والصبر والتسرع، يجمع بين كل المتناقضات وكل المشاعر التي تمتد من الصباح حتى المساء وبالعكس، ولا أعتقد أن هناك شخصا لم يمر بهذه التجربة ولو من طرف واحد ولم يتجاوز مراحل الحب الأول، ولو كان صمتا ولم يتم التعبير عنه، فكثيرين أحبوا مرة واحدة وظلوا أوفياء لحبهم حتى رحيلهم، وكثيرين تزوجوا وربما أكثر من مرة لكنهم لم يستطيعوا نسيان ذكريات الحب الأول وظلوا يترددون على بيت الحبيب الأول، يبكون على الأطلال يعود بهم الزمان للوراء فيبتسمون ويتألمون في الوقت ذاته.

وكثيرين دمروا حبهم بسبب الإفراط فيه، وكثيرين صدموا بحبهم بسبب خيانة، وكثيرين رضوا بأن يكونوا البديل لكي يبقوا بقرب من يحبون، فأقول لمن يفرطون بحبهم كي لا يخسرونه، لا تكرروا أخطاء الحب بسذاجة ولا تصدقوا أن أصابع اليد ليست واحدة فأحيانا تكون واحده وطبق الأصل، ولا تعرضوا أحلامكم الجميلة للبيع فلن يعرف قيمتها وسعرها الحقيقي إلا أنتم، فالأحلام باهظة الثمن لدى أصحابها فقط، ولا تظنوا أن لون الحب مازال أبيض وأن الورد الأحمر مازال رسول الحب، ومن الأفضل أن تحرقوا صورة في قمة جمالها قبل أن تنالوا موقف منها، فالصور المحترقة أجمل بكثير من الصور المهزوزة، ولتعلموا جيدا أن من يتنازل عن كرامته بأسم الحب يتنازل مع الوقت عن كل شيء حتى الحب، فلا تجعلوا الحب أقصى أمانيكم ولا تطمحوا إلى حب بلا أمان لأن الأمان كالنسب للحب، فالحب بلا أمان كطفل الحرام يلقى على قارعة الطريق لا مستقبل له ولا هوية.

أقول للذين خدعوا في حبهم، قبيحة جدا الخيانة فإذا لمحتوها يوما في وجه ما فلا تتجاهلوها، فالإحتفاظ بالخونة كالإحتفاظ بجثة عفنة

مهما نجحنا في اخفاء ملامحها سنفشل في إخفاء رائحتها، وإن كانوا أقل منكم قامة فلا تنحنوا لهم فيروا كل الواقفون خلفكم ولا يروكم، وإذا أردتم أن تبقوا صورهم ملونة فلا تلعبوا معهم تحت مطر المواقف، فمطر المواقف يزيل أصباغ القلوب قبل أصباغ الوجوه بمراحل.

وإلى كل من رضوا بأن يكونوا بدلاء، البعض عند إفاقتهم من جرح أو صدمة ما يسعون إلى البحث لا شعوريا عن غاية يبررون بها الوسيلة لكنهم نسوا أن الوسيلة ربما تلوث الغاية، تدفعهم إلى ذلك حالة فقد مؤلمة فعندما يشتد بهم الألم ويتضخم بهم الفراغ ويفشلون بالنسيان، وعندما ينزفون من الغدر ويتعمق بهم الجرح وينال منهم الخوف ويرغبون بالإنتقام، يسعون إلى البديل وفي الأغلب وربما دائما هناك بديل تضعه الظروف في طريقهم، ومع البديل تتعدد شخصياتهم فيبدأون بالشخصية الجريحة، يلقون على البديل ما يطيق وما لايطيق من قصص سابقة فهم في الأغلب لايهتمون بإحساس البديل ولا يتساءلون عن مصيره بعد الإنتهاء من مرافقته لهم أثناء رحلة شفائهم من قصتهم الجريحة، وليس دائما البديل أخر من يعلم

فأحيانا يعلم، لكنه يغمض عينيه ويسد أذنيه ويستمر بدور البديل بكامل إرادته وطيبته وإنسانيته، وربما لا يفقد الأمل أبدا في أنه ذات يوم قد ينال دور البطولة في قصة جرح بدأها كبديل، ولكن النهايات لا تشبه البدايات دائما، فقد تنقلب الكذبة إلى حقيقة والخيال إلى واقع وتتحول قصة البديل مع الوقت إلى جرح أخر وهزيمة أخرى تضاف إلى هزائم القلب المكسور.

نحن الغارقون المبتهجون بالماء المالح لا نطلب من أحد طوق نجاة أو يدا أو مركبا، نحن لا نستغيث اتركونا نغطس في صمت اتركونا نغرق بسلام.

قال الأدباء عن الخيانة:

ـ عندما تخون المرأة تغمض عينيها كي تقتل احدهم في داخلها، وعندما يخون الرجل يفتح عينيه كي يحتقر احداهن امامه.

ـ عندما تخون إنساناً خانك فأنت خائن، وعندما تخون إنساناً اخلص لك فأنت إنسان قاتل.

ـ للخيانة طعم لا يتذوقه إلا الخائنون، وللخيانة رائحة لا يشمها إلا المخلصون.

ـ اذا كان الانتقام مفتاح الخيانة عند المرأة، فالرغبة مفتاح الخيانة عند الرجل.

ـ في معظم الأوقات، بعد الخيانة تبكي المرأة ويندم الرجل.

رسالة من الحب إلى الخيانة

كما يقال إن وراء كل عظيم امرأة، يقال ايضاً إن وراء كل رجل منكسر او مهزوم امرأة في ثوب افعى تلدغ من حيث لا تدري، ولدغة الافعى سامة وقد تكون قاضية إذا لم نسارع بمداواة جرحها بمصل مضاد للسموم، غير أن الافاعي ليست كلها قاتلة، بل وان كانت قاتلة فهناك من يتعايش معها ويروضها.

تغيرت الازمنة ولكن ظل عصراً محفوراً في قلوبنا وعقولنا، عصر الحب والوفاء والمخاطرة من اجل الحق، عصراً كان يموت فيه الذي يحب من اجل حبه، كان التفاهم بين المحبين حاضر في كل حين، وكان الشوق مشتعلاً مثل البركان، حرارة الحب فيه قوية، كان هذا عصر عنتر وعبلة وقيس وليلى الذين احبوا وماتوا حباً، عصر شهد له التاريخ وسيبقى شاهداً عليه لأخر الزمان، وهذا العصر رحل وحل مكانه عصر الكذب والنميمة والغدر والخيانة، وانعدام الرحمة

والضمير والاحساس، واصبح الحب عملة نادرة، فالأخ يغدر بأخيه والصديق يخون صديقه، والحبيبة تخون حبيبها والعكس بعد سنين من الحب وتضحيات وعناء، واصبحت الخيانة سمة اساسية وامراً طبيعياً.

ولكن إن خاننا احد علينا أن لا نحكم على الجميع بأنهم خونة، وننظر للأشياء بعين واحدة، فالننظر بالعينين معاً وستظهر الأشياء بشكل افضل ونعرفها قبل أن نصدر احكامنا.

فمن قابل خونة ولدغ منهم عليه أن يشفى منهم ويحب من جديد، فالحب هو اسمى عاطفة تدخل القلب، فإذا دخل الحب قلباً دخلت معه التضحية، فعندما نحب احد سنضحي من اجله لكي يكون لنا ونكون له، واذا بادلنا الطرف الآخر الحب فإنه سيفتدينا ايضاً.

فالنجعل الحب بيننا سيداً، ونعيشه بشكله الصحيح ونتذوق حلاوته ولنتذكر دائماً كم عانينا لأجله حتى ندرك قيمته، وهكذا سنصل إلى معنى الحب الحقيقي، فالنحب من دون أن يكون حبنا امتلاكاً، فالحب والعناد لا يلتقيان ولا يتفقان، فمن الخطأ أن نجعل

الحب نقيضاً للكرامة وعزة النفس والكبرياء، لأن احبتنا هم كرامتنا وعزة نفسنا وكبرياؤنا.

ولنتذكر نصيحة جبران خليل جبران لنا:»ليحب احدكما الآخر ولكن لا تجعلا من الحب قيداً، وليكن حبكما بحراً يتهادى بين شاطىء روحيكما، وليملأ احدكما كأس رفيقه، وحذار أن تشربا من كأس واحدة، وليعط احدكما الآخر من خبزه، وحذار أن تأكلا من رغيف واحد، غنيا وارقصا واطربا معاً، ولكن ليحتفظ كل منكما بإستقلاله، فأوتار القيثارة يمتد كل منها مستقلاً عن الآخر، وإن كانت تنبض جميعاً بلحن واحد، وليهب كل منكما قلبه لكن لا يمتلكه الآخر، فإن يد الحياة وحدها التي تستطيع أن تسع قلبيكما، ولتقفا معاً ولا تتلاصقا، فإن اعمدة المعبد تقوم كل منها مستقلة عن الآخرى، والسنديانة وشجرة السرو لا تترعرع احداهما في ظل الآخرى».

كنت أسخر من الأفلام العربية حين يمد أحدهم يده للنصف الفارغ من السرير ليتأكد من وجود نصفه الآخر، الآن أمد يدي للنصف ذاته كي أقيس مساحة البرد حولي، ففي كل حكاية هناك بئر عميقة نقذف بهـا الكثير من الأسرار والكثير من التفاصيل، وحين تنتهي الحكاية نغلـق البئر على محتوياتها ونمضي، لكن حنيناً ما قـد يعيدنا إلى البئر، فنبعثر محتواها ونتذكر.. وأحياناً نبكي، فثمة أشخاص لايغادرونا رغم أنهم بعيدون عنـا، فبعض الذكريات تعترضنا بعـد انتهاء قصة كاملة النمو كأنها كائن حي لا ينقصها سوى أن تنادينا بأسماءنا

رسالة من صندوق الذكريات

لا أعلم ما الذي دفعني هذا المساء إلى دخول عالم الحب وإقلاق ظلمة مماته بعد مده طويلة، ربما هو الخذلان الذي أمسى سمة العصر، أو ربما بسبب لحظات مرت بي، لحظات توقف فيها الزمان على عتبة باب حكاية، وتوقف دوران الدنيا أمام إمرأة كنت أعشقها، لحظات أرعبني فيها سرعة الأيام وأقلقني فيها مرور العمر وعجلة السنوات، لحظات مررت فيها على قديم ذكرياتي وأحزاني ليس مرور الكرام، فقد كنت أظن أن في إمكاني تخزين تفاصيل قصتنا في صندوق محكم الإغلاق، أفتحه عند كل ذكرى للحنين، وأن ظهور صورة لها بالخطأ أمامي لن تحرك إحساسي إليها، لكني اكتشفت أن الأحاسيس لم تمت وفاجئتني بعودتها للحياة عند أول ظهور، وتذكرت كيف بعد انتهاء قصتنا كنت أذهب للأماكن التي كنا نذهب إليها معاً، وكيف كنت أعتقد أن الأماكن تشتاق لمن زاروها وتحتفظ بعطرهم، فكنت أمر

على كل الأماكن استنشق غبار زواياها، بحثاً عن شوق يعيد إليَ الزمن، لكني اكتشفت أن الأماكن صماء لا تسجل أحاديث من مروا بها، وعمياء لا تحتفظ لهم للذكرى بصورة، فالفراق يصبح كالأماني المكسرة التي نخدر بها ألماً ما كي نعاود الوقوف بعد سقوط كاسر.

فاسترجعت في ذاكرتي مرحلة من مراحل حياتي، وأصعب ما في هذه المرحلة، هو أننا نضطر عند الاختيار إلى التنازل عن أمور كثيرة، كانت ذات عمر من أساسيات أحلامنا وحياتنا لكننا نتنازل كمحاولة متأخرة للسير مع اتجاه الطوفان، بعد أن نكون قد قضينا أغلب العمر وأجمله في السير عكس اتجاهه، ظناً منا أن الحب أقوى من الطوفان، لكن نكتشف خديعة الحب حين نلمح العمر غريقاً تحت بقايا الطوفان، فعندما نبدأ رحلة الهبوط نتنازل عن حق الاختيار ونفقد الكثير من الثقة بنا، وتتحول أحلامنا إلى عدو ظالم وننتقل من مرحلة الاختيار لمرحلة الاضطرار، وفي مرحلة الاضطرار لا ندقق في الأشياء كثيراً، لأننا نكون تحت وطأة نهاية ما ربما نهاية حلم أو صحة أو شباب، أو نهاية عمر.

وبعد انتهاء اللحظات اكتشفت أنه كان عليَ أن لا أمنح لظهورها أهمية تدفعني إلى نزف الكثير من الصحة، وكان عليَ أن أتعامل مع ظهورها على أنه حالة اكتشاف مبكر لمرض آن الآوان للتخلص منه وبتره مني، فتخلصوا ممن لا يستحق البقاء بكم واتركوا بينكم وبين الأقرب مساحة تقيكم أثر الاكتشاف ودهشته، فلا تثقوا بالحب كثيراً مهما تكن قوة قبضتكم عليه، فربما يوماً يترك يدكم فارغة لبرد الطريق.

أؤمــن تماماً بأن الحب ليــس معجزة ولا هو صانع المعجزات، فهو يتكــرر آلاف المرات، فالحب أوهن من الدفاع عن حق قلوب في البقاء، أضعف من توفير وساده لعاشقين يحترقان شــوقاً، فالو كان الحب صانع المعجزات لمــا أطلقت حكايات الحب سراح أبطالها بعد أن انغمسوا في تفاصيلها، وما فصلت التصاقهم بعــد أن التحموا حباً كالجســد الواحد.

رسالة لكن.. قيد حنين

اليوم أتذكر من أحببت، الحب الذي كان بالنسبة لي حلم، حلم ذاب كقطع السكر في كأس الحياة، فعالم الأحلام نحن من نصنعه ونضع أساساته ونشيد بنيانه ونخطط طرقاته، ونحن من نرسم أشجاره وجباله وبحاره، حتى سكانه نحن من نختارهم، فلم افقد إيماني بالحلم الجميل، لكني فقدت إيماني بوجود امرأة تستحق أن تنحني لها قامة رجل شامخ ليمنح جسدها الدفء والاهتمام، حيث كانت هناك أمور تراها هي تافهة وتمر عليها مرور الكرام، لكنها تعني الكثير، الكثير الذي لا يقاس بمقدار ولا بكمية العصير المتبقي في قاع كأسها، ورسوماتها المرسومة على لوحاتها، وعطرها المتبقي في الطرقات، وهمسات صوتها وضحكاتها.

فقد كانت حكاية حبي معها كزوجة أب تمارس عليَ من العذاب والهوان ما لا طاقة لي به، لهذا أحاول أن ينحصر خيالي بها في دائرة

حضورها أمامي، وألا يتجاوز إلى ما بعد رحيلها، فلا شأن لي بعالمها الخاص، فبعد إسدال الستار الأخير على الحكايات لا يتبقى هناك ما يقال، فحوارات ما بعد الفراق أشبه ما تكون بالعبث بجثة عزيز، أو أشبه بلعبة كرة القدم يتنافس أطرافها في رمي الكرة بعيداً عن مرماهم، فالكل يحرص بعد الفراق على أن يمضي متقناً دور المظلوم والمجني عليه، لربما هذا الشعور يساعد على البدء في بداية جديدة بشكل أسرع.

لكني لا زلت أذكر لحظة فرقنا حين غادرتها وأنا أضع يميني على قلبي ويسراي تحاول التحكم بمقود السيارة، ودموع عيني تحجب عني الرؤية، ليست المرة الأولى التي أتجول فيها في طرقات المدينة وغزير الدموع يحجب الرؤية عني، وليست المرة الأولى التي أقف فيها على النيل وفي قلبي صرخة حزن لايسمعها سواي، ليست المرة الأولى التي يحترق فيها قلبي، وليست المرة الأولى التي تلوح بها يميني على محطات الوداع مودعة قطعة من الروح، وليست المرة الأولى التي أحاول أن أرفرف بها عالياً في اتجاه قامة أحلامي ويخذلني وهَنُ

أجنحتي، وليست المرة الأولى التي أعود فيها للبيت مكتوف اليدين لكي لا يلمح أحد حجم الكسر في جناحي، ليست المرة الأولى التي أتسلل فيها لشقتي وأغلق الباب بالقفل مرتين متتاليتين وكأن مرة واحدة لاتشعرني بالأمان لكي أمارس حزناً وبكاءً في السر.

والآن اطالع كل يوم صورك، واستمع للأغاني التي كنا نسمعها معاً وأكثرها للسيدة فيروز، فحين أسمع "أنا لحبيبي وحبيبي إلي" تهتز ضلوعي بشدة وتتسلل لقلبي الذكرى بلا استئذان وتحاصرني عيناكِ، وحين أسمع "كيفك انت" تبعثرني وأتحسس وجه الحنين إليكِ، وأمسح دموع وتحشرج السؤال الحاد في فمي حتى أغص به، كيفك أنت؟ آه ياأنت، وحين أسمع "أنا وشادي" أرتعب، فأنتي كنتي لي كل أصدقائي ورفاقي، وحين انفرطتي من عقد أحلامي، انفرطت بعدك كل الأحلام، وتناثرت بعدك تفاصيل القصص كحبات العقد أمامي، وحين أسمع "بكتب اسمك ياحبيبي ع الحور العتيق ...وهديتني وردة فرجيتا لصحابي" أتذكر الفراق وكيف أصبحت الوردة صديقة لصيقة عند الحنين، فليس كل الهدايا بعد انتهاء القصص تنتقل إلى

مرحلة الأطلال، فبعض الهدايا نتحول نحن أمامها إلى أطلال، وأتابع "بحكي عنك ياحبيبي لأهالي الحي بتحكي عني ..لنبعة المي" فأجد أن أهالي الحي رحلوا منذ زمن، ومنابع المي جفت من زمن، فلمن سأحكي عن قصتنا، ومن سيقول لي أن هذا نصيب، وحين أسمع "يا مرسال المراسيل" أجد حولي قيود وعراقيل كثيرة، فلا مرسال بيني وبينك يحفظ السر والأمانة، وكأن هذا العالم ما اخترع يوماً صناديق الرسائل ولا طوابع البريد، وأسمع "ونطرتك ع بابي بليلة العيد" وأنا نطرتك ع بابي بكل الليالي لا أنتي مررتي بي ولا حتى العيد، وأحببتك في أول الشباب ومنحتك منه أخضره وأنضره، وغبتي عني في أخره ومنحتيني منه أصفره وأوهنه، وأسمع "شو بيبقى من الرواية، شو بيبقى من الشجر" فتكسرني فلا شيء يبقى، فالروايات حين تكبر تشيخ وتشيب كالإنسان، وأسمع في الشتاء "رجعت الشتوية" فأتألم فالشتاء عاد بكل طقوسه ولم تعودي أنتي، وحينما أسمع «انسرقت مكاتيبي» أقول بعض الحكايات تسرق العمر كله يا فيروز، وتكون كالمحرقة لا تخلف إلا الرماد، وحين اسمع «بعدك على بالي» أرتبك، فهذه الأغنية تضيء خلوتي في ركن النسيان، فأتلفت حولي

أواري عمن حولي عورة قلبي، فكم طرت بأجنحة النسيان في فضاء التبلد بعدكِ، وكم غبت في أكاذيب النسيان أمامهم وكنتي أنتي أول من صدق أكذوبتي وغيبوبتي، فللنسيان غيبوبة ضبابية، وإغماءة لا نفيق منها إلا بهزة قوية، كهزة صوت فيروز الأتية بالحنين من زمن التفاصيل التي تغفو بنا مرهقة من شدة التكرار ولا تموت، فحين نكثر الحديث عن النسيان فنحن نحاول أن نحكي حكاية انتصارنا على انكسارنا، فالذي ينسى لا يهتم بإعلان النسيان كثيراً، والذي ينسى لا يكثر من سباب الأمس ولا يقذف التفاصيل باللعنة ولا يغتاب الذكرى الجميلة، ومادمنا نهتم ونلعن ونغضب فنحن مازلنا نتذكر ومازلنا نتألم ومازلنا قيد حنين.

كنتي تقولين لي أنت في قلبي، وكنت أعلم أنك تحمليني في جيب قلبك المثقوب، والجيوب المثقوبة لا تحتفظ بما فيها طويلاً، لذلك كنت أعلم أني سأسقط من جيبك سهواً ويوماً ما ستطلق قصتنا سراحي، بعد أن تهديني طرقاً مختلفة ليمضي كلاً منا في طريق معاكس، فأحدنا سيعطي ظهره للآخر باختياره دون أن يكثر التفكير في ما بقي خلف

ظهره من ركام إنسان، لذلك كنت ألهث كل ثانية معكِ، أحاول أن أنتهز كل فرصة تمنحها الظروف لي كي أكون بجانبك، وكان لدي رغبة بتعطيل كل منبهات العالم كي أقضي عل كل رنين قد يوقظني منكِ، والتخلص من كل ضجيج يحرمني منكِ برغم يقيني أن كل منبهات الحب تدق بلا توقيت، ولكن لكل شيء نهاية والموت النهاية العظمى لكل الأشياء، وفي الحب الموت هو النهاية الأرقى برغم قسوتها، والموت نهاية لا أريدها ختام حكايتي معك، أو على الأقل ليس الآن لأكتفي منكِ ولو خيالاً، فمازال لكي في جعبتي من الحب الكثير وأجهل أي قدر مبصر يأخذني إلى طريقك، يقودني كالأعمى إليكِ، يخلع عني حذائي ويجعلني أسير على طريقك الزجاجي المتكسر حافي القدمين، ولا أعرف أن أعود لأني أضعت منذ أن رأيتك خارطة طريقي، أصبحت كالمسوس بكِ، أقرأ آيات الله على قلبي كي أحرقكِ بي، فلا داخلي ولا خارجي يتسع لكِ، وأخلف حولي وخلفي الكثير وأتجه نحوكِ، متجاهلاً كل الأصوات فلا طاقة لي بصوت يوقظني منكِ، أخبرتك سابقاً أن عمر الذاكرة أطول من عمر الأحلام وسينتهي الحلم يوماً وستبقى الذاكرة، فاختبئي في أقصى مكان في ذاكرتي وتعمقي بي، فبعض الوجوه نحبها كثيراً، نفتقدها

ونحن إليها كثيراً، لكننا لا نملك حيالها سوى النسيان حين تكون الذكرى حجر عثر في طريق العمر.

أصبحت في حالة هذيان بكِ تعريني أمام الأصدقاء، الذين أدين لهم بكل سعادة مررت بها من بعدك، فقد كانوا صبورين عليَ لأقصى حد وطيبين جداً، إذا كان ثمة من أنقدني من انهياري وأخرجني من وحدتي فقد كان هم، فمعهم اقتربت أخيراً من باب الخروج من كهف حكايتك، فبعض النور بدأ يتسلل إليَ وأظنني على بعد خطوات قليلة منه، وكأني أستيقظ الآن من حلم ليلة طويلة، فأحلامنا هي التي تمتد بنا وليس الليالي، فبعض الأحلام ليلة وبعض الليالي حلم، أفتح عيني الآن بلا ضجيج وبلا رنين، فلم يعبث أحد بمنبه أمني فأنا استيقظت بلا رنين، لأكتشف خديعة الشتاء ووهم البرد والمطر، فالسماء لم تكن تمطر والشتاء لم يكن قارساً سوى في حكايتك، ففي الحلم عشت معك حكاية شتائية الطقوس، فقد كان المطر في الحلم يبللني فكنت ألجأ إلى الاختباء تحت معطفكِ وأنا أغني «قديش كان في ناس عالمفرق تنطر ناس، وتشتي الدني..»

بدأت أسمع دقات قلبي وبدأ التعب يتسلل إليَ أكثر مما أتخيل، وبدأ حزني يزداد لأنكِ أصبحتي مجرد فكرة لمقال، عفواً أنا لا أقلل من حجمك فيَ، أنا فقط أعيد ترميم شروخ جدران قلبي، فكلنا لجأ لعالمه المفضل له، أنتي لجأتي للنسيان وكأن شيئاً لم يكن، وأنا لجأت للكتابة، كان النسيان عالمك الذي عشتيني فيه، وكانت الكتابة عالمي الذي عشتك فيه، وقد تتحول هذه المشاعر يوماً إلى رواية، وقد تقع الرواية بين يديكِ يوماً فتقرئيها من دون أن تدركِ أن بطلتها كانت، أنتي.

عمــر الدنيا أطول من عمر حكاياتنا، لهذا تموت حكاياتنا والحياة مستمرة..

كان يحبها بجنون وفرقهما النصيب، ومع هذا حضر زفافها على غيره، فسأله صديقه كيف؟

فقال: لأن إيماني بالقضاء والقدر أكبر من حبي لها.

سراب طريق

بعد الفراق تزوجت هي وأنجبت ومازال هو يعيش على حبها، فالزمن الذي توقف عنده لم يتوقف عندها، فهي كانت أكثر منه واقعية، وهو كان أكثر منها حباً، لهذا عاشت هي وضاع هو، فربما كان عمر الحب في قلوب الذين انتهت حكاياتهم بالفشل، أطول من عمره في قلوب الذين انتهت حكاياتهم بالنجاح، فحرماننا من شيء ما يطيل فترته فينا.

كان يبحث عن مجدافين يأخذانه إلى ضفة الحلم، ويوجه صدر القارب نحو الشمس، ويحرث بالمجدافين بحر الحياة ليصل لقارتها، كان يبحث عن قشة في عاصفة وكانت هي عاصفة الحب، عن قطره في محيط وكانت هي محيط القلب، عن نجمة في الكون وكانت هي كل الكون...

كان يستوحي أشعاره منها، من ضحكاتها تمطر عليه أمطاراً من الصور الشعرية، ومن حديثها تجرفه سيول البلاغة، ومن حبها تكتمل معه الحالة الشعرية، والحب أعظم ألوان الشعر...

لكن إيمانه بالحب ذاته كان عظيماً، لهذا آمن كثيراً بنبض الحب في القلوب والدعاء بالأمنيات تحت المطر، وطلبها من الله تحت المطر بإلحاح، وتركها كالحاجة أمام باب الله وتمتم باسمها في دعاء عاجل أمام البحر في ليلة شتائية شديدة الريح والمطر، وحين فشل كان على يقين بأن الخير الذي اختارته له رحمة الله في الفشل معها أعظم كثيراً من الخير الذي كان سيتقاسمه معها في حال النجاح.

قالبعض منا آمن بالحب كمنام يسافر به عبر قطار الزمن، ثم استيقظ على كابوس بعد فوات الأوان، ولم يسمع محطات نادته ولبى نداءتها، فاكتشف متأخراً أنه كان سكة حديد ليعبر عليه وبه الآخرين، لعربات محملة بأقارب يسترضهم، وأصدقاء يستأخهم، ولم يكن يوماً قطاراً أو ساكناً في إحدى مقصوراته، وكان كله لأجل الآخرين سكة يسافر ويودع ويلتقي به وعليه الآخرون بالآخرين، فأحياناً قلوبنا لا تستوعب أن الذين

اتبعناهم على طريق العمر بعطش، كانوا مجرد سراب طريق لا أكثر، ففي رحلة الجري خلف أشياء لا تستحق، نحن في الغالب نخسر أشياء كثيرة تستحق، حقيقة تؤلمنا كثيراً حين نكتشفها بعد مواسم الحصاد.

الحب أقوى من السحر، لهذا يبطل السحر ولا يبطل الحب، فحين نلتقي بحكاية حقيقية، نندم كثيراً على ما أسلفنا من حكايات وهمية، سفكنا فيها من الصحة النفسية والعمر الكثير، لكن تاريخ الميلاد وغزو الشعر الأبيض من أشد أعداء حكايات الحب التي قد تطرق أبواب قلوبنا في وقت متأخر من العمر، فالأحلام التي تصل بعد انطفاء مصابيح العمر تعيش في الظلام وترهقنا محاولات سترها كثيراً، فالحب في آخر العمر أغلى من الحب في أوله، ربما لأن الفرصة الأخيرة دائماً أغلى من الفرصة الأولى، فأرهقت أعمارنا حكايات حب خذلتنا في منتصف الحلم والطريق، وأصبحنا نمارس الحزن حتى أصبح عادة يصعب التخلص منها، وحكايات الحب التي لا تهدف إلى الزواج هي كفتاة عابرة، تستحم وتتزين كل يوم، ومع هذا تبقى غير نظيفة، فلا تجعلوا قلوبكم سبيلاً يرتوي منه من يحب، اجعلوه مملكه يملكه فقط من تحبوا.

حكايات لا تنتهي

كان يجلس على المقعد وحيداً يدقق في وجوه المارة ويراقب ألوان الزهور التي في أيديهم، لولا الوفاء لتلك الحكاية وتلك المرأة لربما كان الآن بصحبة زوجة وأطفال تقترب قامتهم من قامته، لكن بعض الوفاء ظالم، عاش بعدها حكاية خضراء رائعة الطقوس والتفاصيل وجد فيها كل شيء فقده بعدها إلا نفسه، فالحياة تغير أدوارنا حسب الأبطال وشخصياتهم في الحكايات، لهذا نحن نؤدي دور الملوك في بعضها، ودور المماليك في بعضها الآخر، لكنه لم يندم على حكاية منحته دور البطولة وكان فيها ملكاً، فنحن ملوك فقط في حكاياتنا الجميلة.

منذ البداية كان يتصور أن حبها سيزول من قلبه مع مرور الأيام، كان يتصوره مطراً سيتوقف وينقطع لكنه كان سيولاً أغرقته، مازال ذلك الحب في قلبه وذكراه تحيطه، لو كان لقلبه لسان لتكلم وأفشى ما بداخله من أسرار، أسرار تكشف أحلامهما التي كانت مثل الشراع

، وحبهما السفينة التي أبحرت داخل بحر الحياة، ولكن رياح القدر كانت أقوى من كل شيء، وسقط الشراع وتاهت السفينة، فأين هي لتمحو أثر ما كان لتعلن من جديد انها تحبه، فبعد كل جرح كان ينام، وبعد كل نوم يستيقظ شخصاً آخر، فهزات الخذلان كانت تنسفه وتغير به الكثير.

كان النهار في أخره والضوء ينساب في خفوت، ولسعة الخريف تدعو إلى التماس الدفء، جلس أمامه شاب وفتاة لفتا نظره، مر بهم بائع الأزهار فأشترى الشاب للفتاة زهرة ووضعها في شعرها، امتدت يد الشاب وأمسك بكف الفتاة وراحا ينظران إلى النيل ويسمعان همسه، وبدا قلبه كأنه ينصت لإرتعاشات قلبهما، الفتاة تسمع دقات قلب الشاب وهي على صدره، والشاب يجاهد أن يسمع دقات قلبها، يعلم أنها تحبه ويدركان عجزهما عن حماية حبهما. بعد فترة من حديثهما استلت الفتاة كفها من بطن يده وتنهدت، أنفاسها حملت صهداً كالحريق، فنظر إليها، ونزعت الزهرة من شعرها وخطت نحو النيل وألقت بها ومضت.

فقرر أن يتدخل ويعيد الماء إلى مجراه، قال للشاب: هي الآن كالطير الصغير الذي يتعلم الطيران، ويجب أن تكون بجوارها حتى لا تسقط من أول محاولة لها، يجب أن تتمسك بها حتى لا تتعثر، وطلب منه أن يلحق بها واستجاب الشاب لنصيحته.

وهو في مقعده ساكناً مبهوتاً، راحت عيناه تراقبان النيل، وشق الماء قارباً ماراً فتماوج، كانت الزهرة تتماوج مع الموج تغيب وتظهر، فتخيلها حبيبته حين تغيب، يشعر بأن روحه تنسحب منه، وحين تظهر تعود له، وشدت نظره وهي تقاوم الموج كأنها تتحداه، وظل يراقب المشهد، وبكى حين رأى الموج يطوي في قبضته الزهرة الجميلة، كأنه يعتصرها عصراً حتى اختفت، وتألم أن يكون للماء مثل هذه القبضة القاسية، وكما تغرق الأحلام أغرق النيل حلمه.

حكاية ترمم كسور حكاية، وبشر يعيدون بناء أطلال بشر، فالحكايات لا تتوقف أبدا.

رسائل الربيع وألوانه

ليس هناك ما هو أجمل من الزهور للتزين بها والاستلهام من ألوانها وأشكالها، فالزهور بأشكالها وألوانها كافة هي مصدر وحي لا ينضب لاسيما عندما يأتي الربيع، فبألوانها وأشكالها تغنى الشعراء، وعزف لها الموسيقيون أروع الألحان، وتزينت بها النساء على مر العصور، ولاتزال جمالياتها تسحرنا وتجذبنا، لتجعلنا نردد دائماً عبارة سبحان الخالق.

الطبيعة بزهورها وألوانها تملأ حياتنا، ففي الربيع نرى الملابس الزاهية بألوانها المستوحاه من ألوان الزهور، مثل البرتقالي والأصفر والأزرق، فالبرتقالي يعبر عن حب الحياة والروح المتفائلة، فهو إلى جانب حيويته وإشراقته، يمنح دفئاً حميماً يضفي على من تغلف به جسدها سحراً جذاباً لا يقاوم، فهو من أكثر الألوان زهواً وحباً للفت الانتباه، فالمرأة التي ترتدي هذا اللون تترك بصمة متوهجة يصعب نسيانها.

أما الأصفر الذي يبرُز من بين كل الألوان بوصفه لوناً نقياً مفعماً بالحيوية، قد تبدو الإطلالة الصفراء بالكامل صارخة وصادمة، لكنها تبقى في جميع الأحوال متألقة ولافته تستحق التجربة، فجريئة من تختار الأصفر ليعانق جسدها، ومبدعة من تدرك سر مزجه وتنسيقه مع ألوان أخرى، فالمرأة الجامحة تجمع بين الأصفر والأزرق و«الفوشيا»، أما المرأة الهادئه فإنها تتألق بالأصفر المطعم بالبني، أما الشقية والمشاغبة المرحة ترتدي الأصفر مع البنفسجي، أما الأزرق فهو اللون الملكي الذي يضفي هالة من الأناقة والاشراقة الهادئة على من تختاره ليكسي جسدها، فهو قادر بتدرجات لونه من الأزرق السماوي إلى الليلكي، على أن يمنح صاحبته سلطة جمالية وقوة جاذبية لا يمكن الإفلات منهما، والمعروف عن اللون الأزرق احتواءه على ذبذبات كهربائية قوية تشكل حصناً منيعاً أمام العين الحاسدة، وما الخرزة الزرقاء سوى دليل على ذلك.

والكل يضع روائح استقت من البراعم والزهور الربيعية، ونكاد نستنشق عبقها ورائحتها فيها، زهور بتلاتها وسيقانها ودرناتها وزيوتها

تعد علاجاً رائعاً للعديد من الاضطرابات التي تصيب الإنسان وبشرته، مثل الورد الذي يحارب التجاعيد ويكسب البشرة نعومة الحرير، والفل والياسمين الذي يمكن غليهم مع الشاي، حيث يساعدان على الاسترخاء، والنرجس الذي يستخدم في الكريمات حيث يقاوم الجفاف، والإيكيناسيا التي تقضي على حب الشباب، والأقحوان التي تحد من احمرار البشرة، والكورن فلاور أو القنطريون العنبري الذي يزيل انتفاخ العين، وزهرة الربيع المسائية التي تمحو الأكزيما والصدفية، والسحلبية أو الأوركيد كما يسميها الغرب، فالأوركيد أجمل وأقدم زهور العالم، عرفها الصينيون قبل الميلاد بسبعمائة عام، وأطلق عليها فيلسوفهم الشهير»كونفو شيوس» لقب زهرة عطر الملوك، ثم عرفها البريطانيون باسم زهرة شراب الحب، وهي اليوم لا تكتفي بحضورها القوي في العطور، وشكلها الظاهر حيث تتسم بجمالها الراقي وألوانها الآسرة، بل تذهب إلى ما هو أبعد من ذلك وهو ما لمستخلصها من مفعول مذهل في إعادة عقارب الزمن إلى الوراء، عن طريق حفز جينات البشرة المسؤولة عن إطالة العمر، ومقاومة تأثيرات جهاز المناعة لدى البشرة، وتعزيز تجديد خلاياها،

حيث ادخلت في مستحضرات العناية بالبشرة والشعر ومستحضرات التجميل، بعدما أكدت الأبحاث أن خلاصتها تقاوم ظهور التجاعيد وتحارب الشوارد الحرة وترطب الأنسجة الجافة وتعزز مناعة البشرة وتجدد خلاياها.

الربيع يزهر من حولنا ويغلف عالمنا بأحلى الأشكال والألوان، ففي الربيع الجميع يمني النفس بقضاء أسعد الأوقات ويخرج للتنزه، ومنها الرحلات البحرية أو النيلية التي أجدها أفضل وأجمل نزهة في عيد الربيع، حيث يكون طوال الرحلة الأزرق والأخضر لونان يتجاوران فيها، الأول يتجلى في انعكاس زرقة السماء على الماء، والثاني تمثل في اخضرار ألوان الأشجار الراسمة مع زرقة السماء لوحة رائعة، احتضنت بدورها شبان ورجال ونساء وأطفال ارتدوا أحلى ثياب بأجمل الألوان وأكثرها حياة، للقاء الأحباب من الأهل والأصدقاء، حيث اعتقد المصريون القدماء أن نسمات فصل الربيع تختلف عن غيرها من نسمات السنة كلها فأطلقوا عليه «شم النسيم» الذي أخذ مظاهر متعددة، ومن مظاهره تناول أنواع معينة من الأسماك

تحضر قبل حلول شم النسيم بفترة طويلة وهي «الفسيخ» وترجع هذه التسمية إلى الكلمة العربية القديمة «التفسيخ» أي ترحيل الأنسجة بفعل تعرضها للتمليح، وهو ما كان يقوم به المصريون القدماء، وهي عادة غذائية مازالت موجودة بهذه التسمية وهذه المواصفات حتى اليوم، ويؤكل إلى جانب الفسيخ الخس والخيار والترمس، ويعتقد البعض أنها من باب العادات والتقاليد، ولكن لها أصل علمي لجأ إليه قدماءنا المصريون، وهو أن الأنزيمات والألياف الموجودة في تلك الخضروات وعند تناولها مع الفسيخ، تبطل إلى حد كبير امتصاص الجسم نسبة الملح الهائلة التي يحتوي عليها الفسيخ، وبالتالي تجنب الإنسان العديد من الأمراض الناجمة عن تناول الأملاح، مثل ارتفاع ضغط الدم واحتباس الماء في الجسم.

أيضاً البيض الملون من مظاهر عيد شم النسيم، ويمكن تلوينه بطرق متعددة تستخدم فيها مواد طبيعية كبديل الألوان الصناعية، حيث يمكن سلق البيض في ماء مع ورق البصل الأحمر، فنحصل على بيض أصفر باهت جميل، أو نسلقه مع البنجر «الشمندر السكري»

للحصول على بيض أحمر، ويمكن تثبيت أوراق البقدونس أو الكزبرة الخضراء على قشر البيض، وتغليف البيض بورق الألمنيوم ثم سلقه، فنحصل على بيض مرسوم عليه ظلال تلك الأوراق.

وكل ربيع والجميع بخير.

في ليلة شــديدة البرودة، وأنا في سريري متدثراً بغطــائي وفوقي النافذة، يجيئني منها صوت حبات المطر وهي ترتطم بها، دعوت الله أن يجعلها سقيا رحمة ولا يجعلها سقيا بلاء، وأن يسقينا الغيث ولا يجعلنا من القانطين، إنها ليلة عيد الأم، الكل يحتفل ويقدم هديته فاسترجعت ذاكرتي وأمسكت بقلمي وتناولت ورقي وكتبت:

رسالة إلى أمي

أقف أمام صندوق محمول على الأكتاف ويُمضى به، وتمضي معه آمالي، لو أمكنني أن أبقيه لفعلت، فهو يحوي داخله إنسانة أحببتها وأحبتني، وكل ذكرياتي والباقي من سنوات عمري، فكيف سأعيش دونها.

الموكب يغادر ولا أستطيع أن ألحق به، سيعود الصندوق ولكنك أنتِ لن تعودي، أرى الموكب يبتعد ومعه قلبي الذي أسمعه يصرخ مستغيثاً يود أن يقفز ويأتي إلي أو أن أذهب أنا إليه، وبدء الموكب يغيب وغابت معه نبضات قلبي، وجفت دموع عيني، فمن اليوم سأكون وحيداً

ها هي أعواماً طويلة مضت على يوم رحيلك ولا أزال أذكر ذلك اليوم، ذلك اليوم الذي رأيتهم يضعونك داخل صندوق ثم مضوا بك، وأقبل الناس يقدمون واجب العزاء لجدي، وارتسم سيما الحزن على

وجوههم واكتأبوا لمصيبته، لكنهم بعد ساعات انفضوا عنه كلٌ إلى شأنه، حتى الأقارب بكوا وتباكوا وسالت ألسنتهم بعبارات الحزن وعادوا إلى مشاغلهم، وأصبحتِ مجرد ذكرى لكني لم أنسكِ يوماً، ثيابك التي كنتِ تلبسينها ومقتنياتك لم أعد أراها أو أعلم عنها شيئاً، كنت أسأل جدي عنكِ فيقول لي سافرت وعندما ترجع ستحضر لك ألعاباً كثيرة، ولقد تركت لك هدية جميلة هي أختك الصغيرة.

جدي رحمه الله لم يكن يعلم أنني أفهم أنكِ رحلتِ، كم أنا مشتاق إليكِ، كم أنا بحاجة لأن أرمي بنفسي بين أحضانك، نعم حولي بعض من حاولوا أن يعوضونني عنكِ، لكن لن يستطيع أحد أن يعوضني عنكِ.

رائحة الأمهات كرائحة وطن آمن، والبيوت بلا رائحة الأمهات باردة جداً، كمقاعد الطرقات المهجورة، ووحدهم الذين قفدوا أمهاتهم يدركون تماماً أي أمان غادرهم حين أمسوا بلا أم، فالذين فقدوا أمهاتهم اكتشفوا بألم أن للأم رائحة لا تكررها الأيام ولا تأتي بها الصدف، وأدركوا كم تصبح البقايا خلف الأم غالية.

اليوم عيدك وعيد كل الأمهات، والكل يقدم هداياه ولا أجد أجمل وأعظم من سورة "يس" أقدمها لكِ، وكم مثلي الكثير سيفعلون ذلك، إعلمي أنني لن أنسكِ يوماً وأكبر دليل عل ذلك ما أهبه لك من ثواب في كل خاتمة لكتاب الله عز وجل.

لا أعلم إن كنت أحادث وهماً جسدته في خيالي، أم هل أحادث حقيقة تراني ولا أراها وتدركني ولا أدركها، لعل الأموات ينطلقون في أنحاء الكون أكثر مما ننطلق نحن الذين أثقلتنا هياكل أجسادنا، ولعل من نطلق عليهم بالأموات يرون أجسامنا مقابر جسمانية حابسة لروحنا داخلها، فيدعون لها بانبعاث قريب إلى عالمهم عالم الأحياء في نظرهم، كان الموت في عيني شبحاً رهيباً لكنه اليوم شيء جميل، كان صحراء قاحلة لكنه اليوم بستان رائع، هذا هو حالي بعدك يا أمي، أوقن الآن أنكِ من الغدر والأنانية فررت، وما أكثرها الآن.

وفي النهاية لا أجد ما أقوله سوى رحمك الله، اقبلي رسالتي التي كتبتها بطريقتي في عالمي، واستلميها بطريقتك في عالمك، وفي يوم ما سنلتقي وأدخل إليكِ من الباب الذي سبقتيني إليه.

أستاذي العزيز.. شكراً

بأي حق تعاملني بهذه الأنانية، تنشر بعض أشعاري باسمك، والتي باسمي تدسها في غياهب أدراجك وتخفيها بين أوراقك المنسية.

أتذكر حين قلت لي انه لا يطيب لك ان تدخل معي في صراعات، وأنك لا تملك من الوقت للدخول في تلك الصراعات، هذا ما قلته لي حين تقدمت للمشاركة بشعري في البرنامج الذي كنت أحد أعضاء لجنة تحكيمه، وكنت معارضاً على مشاركتي فيه، فتعجبت أنا كثيراً لذلك وأنت الذي تدعم الحق وسلطانه، وتعري الباطل في كسوته الزائفة.

أصبحت بعدها تخفي وجهك عني وتتسامى بمكانتك علي، لأنني هاوٍ وأنت محترف، نسيتني وتنكرت لي، لكنه خطئي أنا، فأنا الذي كنت أبيع لك بضاعتي بثمن بخس وانت تجني من ورائها الكثير لأن لك اسم بين الشعراء وأنا لا أسم لي.

واليوم بعد أن نهلت من كلماتي ما شئت، وحصدت بها من جوائز ما طاب لك، لا أملك إلا أن أبارك لك أغنيتك التي حصلت بها على أفضل كلمات في عامها وأفضل لحن وأفضل أداء.

تلك الأغنية التي اتخذت منها الموضوع الذي رحت تصقل به أحاديثك الصحفية التي تخاطب بها المجتمع، تلك أغنية التي أودعتها أنا أغلى أحاسيسي ومشاعر عشقي التي تروي أشجاني وسهري لليالي، تلك الأغنية التي حصل ملحنها على أفضل لحن لأن ألحانه لها جاذبية وقبول، فتوجها بتاج أجمل وأبهى مما كانت عليه، ومؤديها الذي حصل على أفضل أداء، لأن صوته ينبش في خفايا الناس ومشاعرهم، ويترجم عن مكنون آلامهم وروائع آمالهم، فصب صوته في آذانهم ودخل لحنها نفوسهم ودخلت كلماتها قلوبهم.

وفي النهاية فإن فوزك هو فوزي، ولا أجد ما أقوله سوى.. شكراً.

صدر للمؤلف

الكتاب الأول:

رسائل شرقية «رسائل نثر»

الطبعة الأولى ٢٠٠٦ مكتبة مدبولي

الطبعة الثانية ٢٠٠٨ مكتبة مدبولي

الطبعة الثالثة ٢٠١٠ مكتبة مدبولي

الكتاب الثاني:

جذور وفروع «مجموعة قصصية»

الطبعة الأولى ٢٠٠٧ مكتبة مدبولي

الطبعة الثانية ٢٠٠٩ مكتبة مدبولي

الطبعة الثالثة ٢٠١٧ دار عابر للنشر

الكتاب الثالث:

نقوش من نور «رواية»

الطبعة الأولى ٢٠٠٨ مكتبة مدبولي

الطبعة الثانية ٢٠٠٩ مكتبة مدبولي

الطبعة الثالثة ٢٠١٠ مكتبة مدبولي

الكتاب الرابع:

حنين الفؤاد «رواية»

طبعة أولى ٢٠٠٩ مكتبة مدبولي

الكتاب الخامس:

رنيم الطيور «رواية»

طبعة أولى ٢٠١٠ مكتبة مدبولي

قيد النشر:

مغامرات لوجي ويوري وعبودي «قصص أطفال»

ساق وأوراق «مجموعة قصصية»

توأما نجمة «رسائل شعرية»

الفهرس

إهداء ٥
المقدمة ٧
رسالة إلى كل محب ١١
أميرتي ١٩
مولاتي ٣١
رسالة إلى معشوقة القمر ٣٧
رسالة من على ضفاف النيل ٤١
رسالة من على شاطىء الروشة ببيروت ٤٥
رسالة من الحب إلى الحب عن الحب ٥١
رسالة من الحب إلى الخيانة ٥٩
رسالة من صندوق الذكريات ٦٥
رسالة لكن.. قيد حنين ٧١

سراب طريق ٨١
حكايات لا تنتهي ٨٤
رسائل الربيع وألوانه ٨٧
رسالة إلى أمي ٩٥
أستاذي العزيز.. شكرا ٩٨
صدر للمؤلف ١٠٠